ولكن كونـــوا ربانيين

الشيخ سلمان العودة حفظه الله

6/2/1413 - الأسياح

إن الحمد لله، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ويرضى، فله الحمد بالإسلام وله الحمد بالإيمان وله الحمد بالقرآن، وله الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

وأصلّي وأسلّمُ صلاةً وتسليماً دائمين إلى يوم الدين على نبيه ومصطفاه من خلقه، نبينا محمّد النبيّ الأمّي الذي يؤمن بالله وكلماته، حمل الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، فصلى الله عليه وسلم، ما ترك خيراً يدل إلى الجنة ويبعد من النار إلا بيَّنه وأمرنا به، ولا شرَّاً إلا بيّنه وحذرنا منه، حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك .

و جزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، فقد أبلى فينا البلاء الحسن وسهر ليله وتعب نهاره وشاب شعره وأنهك جسمه ولقي الأمرين من أجل أن يصلنا الدين نقيَّاً مصفّى، {**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ** } ..

أما بعـــــد ،
فهذه الليلة هـي ليلـةُ الثلاثـاء السـادس مـن شـهر صـفر مـن السـنة الثالثـة عشـرة بعـد الأربعمائـة والألف من الهجرة، وعنوان هذه الجلسة جزءٌ مـن كتاب الله عز وجل من سـورة آل عمـران "ولكـن كونوا ربانيين" ، قال تعالى :
{ مَـا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُـؤْتِيَهُ اللّـهُ الْكِتَـابَ وَالْحُكْـمَ وَالنُّبُـوَّةَ ثُـمَّ يَقُـولَ لِلنَّـاسِ كُونُـواْ عِبَـادًا لِّـي مِـن دُونِ اللّـهِ وَلَـكِن كُونُـواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَـةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُـم مُّسْلِمُونَ } .
من مصائب الأمـة أيهـا الأحبَّـة ، الجهـل ، و طالمـا تمرَّغت الأمة في ظُلُمات الجهل بعيـداً عـن هـدى ربها وسنة نبيها صـلى اللـه عليـه وسـلم، ولكـن لا يقلُّ عن الجهل مصيبة، العلم المؤسَّس علـى غيـر هدى ولا كتابٍ منير .
فنحن لا بدَّ أنَّ نحارب الجهل، ولكن لا بدَّ أيضـاً أن يكون العلم الذي نـدعو إليـه علمـاً مؤسَّسـاً علـى الأصول الشرعية الصحيحة، علماً مقرِّباً إلـى اللـه عز وجل .
وطالما رأت الأمة شباباً كما وصـفهم أحـد الإخـوة لي في رسالـة بعثهـا يقـول : " إن بعـض الشـباب في البلاد الإسلامية كـان أحـدهم إذا اسـتيقظ فـي

آخر الليل يدير مؤشر الراديو قبل أن يفتح الصنبور، يتوضأ لصلاة الفجر " !
فلا شك أن مراجعة المسيرة وتصحيح الخطأ والدعوة إلى التوازن من أهم المقاصد التي يحرص عليها الصالحون والمُصلحون، إننا نعلم أن الجاهل قد يقبل التعليم، فإذا كان جاهلاً جهلاً بسيطاً لا يعرف مثلاً متى وقعت معركة بدر، فقلتَ له : وقعت معركة بدر في السنة السادسة للهجرة، كان من الصعب تعديل هذا العلم الخاطئ الموجود لديه ، بل هو جهل مركَّب !
إذن فالجاهل قد يتعلم، لكن الذي يرى نفسه عالماً قد يكون من الصعب أن يتقبل من غيره .
هذه الآية الكريمة فيها الحديث عن صنف من العلماء ، وصفهم الله عز و جل بأنهم ربانيون ، و معنى الآية أن الله تعالى نفى أن يكون لبشر من البشر – النبي أو الرسول – أن الله يمنحه الكتاب و الحكم و النبوة ثم يقوم هذا النبي ليقول للناس كونوا عباداً لي ، لا ، فالنبي لا يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، و إنما يدعوهم إلى الله ، فيقول للناس : **" كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ "** ، لا يأمرهم بغير ذلك ، فلا يأمرهم بعبادة نفسه و لا يأمرهم أيضاً بأن يتخذوا الملائكة و النبيين الآخرين أرباباً من دون الله عز و جل ، و كيف يأمرهم بالكفر و هو إنما جاء و بعث بالإسلام ؟

ربانيون ، أي منسوبونَ إلى الرب ، و قد ذكره ابن الأنباري عن النحويين و هو على كل حال نسبةٌ على غير قياس كما يقال شعراني .
ربانيون ، وصلوا إلى الدرجة العليا و المقام الأعلى في العلم و التربية ، إذن الربانية لا تطلق على الإنسان المبتدئ في العلم الذي حضر لتوه مجالس الذكر و التعليم ، لا ، و إن كانت البوادر قد تظهر عليه منذ صغره في تقواه و ورعهِ و تحرِّيهِ عن الحرام و حرصِهِ على العمل ، لكنَّه إنما يوصف بالربانية العالمُ الراسخُ في علمِهِ كالأئمةِ الأربعةِ مثلاً ، و المجدِّدين عبر العصور ، فإنهم يُطلق عليهم أنهم ربانيون .
ربانيون ، أي حكماءُ علماءُ حلماءُ ، كما ذكره ابن كثير و غيره عن ابن عباس رضي الله عنه .
ربانيون ، أي فقهاء ، كما ذكره ابن كثير و غيره أيضاً عن الحسن البصري و غير واحدٍ من السلف .
ربانيون ، أي أهل عبادة و تقوى ، كما هو قول الحسن أيضاً .
و هؤلاء تعرفُ فيهم صفات :

الصفة الأولى / العلـــــم

{ **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ** } ، هكذا قرأها جمهور القراء

، " **تَعْلَمُونَ** " بالفتح، إذن هم علماء وهذه من أخص صفاتهم، " **وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** " ، إذن هم أساتذة وشيوخ وفقهاء ومفتون، أقبلوا على علم الشريعة ، علم الكتاب والسنة ، فرفعهم الله تعالى به .

قال تعالى : " **يرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُواْ العِلْمَ دَرَجَاتٍ** " ، و قال سبحانه : " **شهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَ المَلائِكَةُ وَ أُولُوْا العِلْمِ** " ، فقرن أولي العلم وأشهدهم على ذلك مع ملائكته ومع ذاته المقدسة ، فدل على قدرهم ، و قال عز و جل : " **فاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** " ، فبدأ بالعلم قبل القول و العمل .

هم علماء ، و العلم حياة ، و لهذا قال الشاعر :

أخو العلم حيٌ خالدٌ بعدَ موتِهِ *** و أوصالهُ تحتَ التُّرابِ رَمِيمُ

و ذو الجهلِ مَيْتٌ وهو ماشٍ عَلَى الثَّرى*** يُظَنُّ مِنَ الأَحيَاءِ و هو عَديمُ

و قال آخر :

و في الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلهِ *** و أجسامهمْ قبلَ القبورِ قبورُ

و أرواحهمْ في وَحشةٍ من جسومهمْ *** و ليسَ لهم حَتَّى النشورِ نشورُ

فهم أموات غير أحياء بجهلهم، ولو كانت أسماؤهم على كل لسان ، فأنت اليوم مثلاً لو سألناك عن أعظم عالمٍ في القرن السادس الهجري و أوائل السابع ، لقلت : شيخ الإسلام ابن تيمية ، فأصبح يعرفه الكبير و الصغير ، لكن لو سألناك مثلاً من هم تجار ذلك القرن ، هل تعرفهم ؟ و من هم قواد الجيش في ذلك القرن ؟ و من هم أصحاب السلطة و الجاه في ذلك القرن بأسمائهم ؟ قد لا تعرفهم ، لكن ابن تيمية من الذي لا يعرفه ؟ كلما تقدم الزمن زادت شهرته و مكانته ، حتى إن مكانته اليوم - و أجزم بهذا - عند المسلمين أعظم بكثيرٍ من مكانته يوم كان حياً يتحرك بينهم ، ففي ذلك الوقت كان خصومه كثير ، حاربوه و أحرقوا كتبه و كادوا له ، حتى وقع في غياهب السجون و منعت فتاواه زماناً ، بل و كادوا أن يضربوه في بعض المناسبات ..
لكن اليوم أبى الله عز و جل إلا أن يظهر حقَّه على باطلهم ، و ماتوا و بقي ابن تيمية حياً .
يا رُبَّ حيٍّ رُخامُ القّبرِ مَسكنُهُ *** و رُبَّ مَيْتٍ عَلَى أقدامِهِ انتصَبَا
ملايين من الناس اليوم ، في الوظائف و الأسماء و التجارات و الأعمال لا يعرفهم أحد ، و لا يحزن عليهم إن ماتوا أحد !

و الغريب أن العلم الشرعي بالذات على رغم هذه المكانة ، لا يختاره إلا القليل ، لأن أمام طلبه عقباتٌ و عقباتٌ تنقصِمَ لها الظهورَ و تنكسرَ الأعناقُ ، و العجيب أيضاً أن العالم يكون موضع عتب من الناس فيما قد ينسبونه إليه من تقصير ، أو يظنونه فيه من قول أو فعل ، فهم يلومونه و يقولون : " العالم الفلاني غفر الله له ، عنده أرضٌ في المكان الفلاني ، و العالم الفلاني سمع المنكر و لم يغيره ، و مرة من المرات فعل كذا و كذا و أغلظ في القول لرجلٍ عنده " ، فيعدون عليه أخطاء فعلها ، يظنونها أخطاء ، و هي قد لا تكون كذلك ، و قد تكون من خطأ البشر ، فنقول لهم ، نوافقكم على ذلك ، هبوا أن ما تقولونه عن هذا العالم - الذي هو فعلا عالمٌ – صحيحٌ و أنه أخطأ ! :
و مَن ذَا الَّذِي تُرضَى سَجَايَاه كلُّها ** كفى المرءَ نُبْلاً أن تُعَدَّ معايبُهْ !
هذا العالم عددتم له أخطاء ، خمسة أو عشرة ، لكن أنا و أنت و فلان و علان ، من يحصي أخطاءنا ؟
وقف رجل يوماً المنبر فتكلم ، فقام إليه أحد الحضور و سأله سؤالاً ، فقال : لا أدري ! قال : تصعد المنبر و أنت لا تدري ؟ ، قال : **إنما علوتُ بقدر علمي ، و لو علوت بقدر جهلي لبلغتُ عنان السماء !**

أقول : يعتبون على هذا العالم في خمسة أخطاء أو عشرة ، يظنونها أخطاء وقع فيها هذا العالم ، و لكن ننسى أننا ملومون على مسألة أكبر ، و هي لماذا كان هذا عالماً و لم نكن نحن علماء ؟ لماذا تركنا نحن التعلم و التعليم ؟

بعضنا لعله معذور لم يعطه الله تعالى الآلة من الذكاء و الفهم و الفطنة ، و قد يكون بعضنا لم تتيسر له أسباب تحصيل العلم ، و قد يكون بعضنا في بلادٍ بعيدةٍ و نائيةٍ لم يستطع أن يتعلم ، دعك من هؤلاء كلهم ، لكن كثيرون تمكنوا و عندهم عقلٌ و ذكاءٌ و فطنةٌ و حفظ ، و الأسباب أمامهم ميسورة مبسوطة ، و مع ذلك لم يتعلموا !

أحيانا يخطر في ذهني سؤال ، العلماء المشاهير ، أمثال ابن باز و ناصر الدين الألباني و ابن عثيمين و ابن جبرين ، أين زملاؤهم على مقاعد الدراسة أو في مجالس طلب العلم ؟ و مثلهم علماء في البلاد الإسلامية كلها بطولها و عرضها ! لقد كان كل واحد منهم يوماً طالباً في حلقةٍ له فيها على الأقل عشرون زميلاً ، أين هم ؟ أكثرهم تأخروا عن الركب ، و بقي هو وحيداً في الساحة ، لأنه أصر على طلب العلم و أصر على المواصلة ، أما هم فكثيرٌ منهم قد يكونون يشغلون وظائف عادية كغيرهم من الناس ، لا يتميَّزون عنهم بشيء إلا أن الواحد منهم ربما

تمدَّح في المجالس و قال : أنـا مـن زملاء فلان و علان !
طيب إذا كنت من زملائه لماذا لم تكن مثله ؟ و لم تعمل عمله ؟ هو تلقى العلم مثل مـا تلقيـت ، فلماذا ظهر هو و خفيـت أنـت ؟ و نفـع هـو و لـم تنفع أنت ؟
ذكر ابن القيم رحمـه اللـه عـن الشـافعي أنـه إذا رأى رجلاً سـأل عنـه ، فـإن كـان صـاحب علـم و عملٍ تركه ، و إلا عاتبه الشافعي عتاباً مرَّاً و قال له : " **لا جزاك الله خيراً ، لا عن نفســك و لا عن الإسلام ، ضـيَّعتَ نفسـك و ضـيَّعتَ الإسلام !!" .**
انظـروا ، الشـافعي رجـل مـؤدب ، و لكنـه كـان يحترق قلبه فيغلـظ فـي العتـاب ، و العتـاب يزيـل الوحشة بين الأحباب ، فقـد كـان مـن الممكـن أن يصبح عالماً يشار إليه بالبنان و يرفع الله به الجهل عـن أمـة مـن النـاس ، و لكـن لـم يكـن هـذا إلا لتقصيره !
و الغريب في الأمر أنك لم تكتف بالتقصير ، بل زدتَ على ذلك أن توجِّه سهام اللوم و العتب إلى من قطعوا هـذا المشوار الذي عجـزت أنـت عـن قطعه !
إذن لا بدَّ من الدعوة إلى العلم ، فالعلم خير كله ، حتى الكلاب المعلمة فضَّلها الله عـز و جـل : { **مكلبينَ تُعَلِّمُونَهُنَ مِمَّا عَلَّمَكُمُ الله ، فَكُلُوا**

مِمَّا أَمْسَكنَ عَلَيكُمْ } ، فالكلب المعلـم يتميـز فـي الصـيد عـن الكلـب غيـر المعلـم ، فكيـف بالإنسـان الـذي فضـله اللـه تعـالى و اختـاره و اصطفاه ؟

{ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَـرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّـلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** }

الصفة الثانية / الاتبـــاع

ليس العلم الذي يتعلمه العـالم ، هـو قـال فلان و قال علان ، لا ، إنما هو علم الكتاب !

و لهذا قال في الآية " **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّـانِيِّينَ بِمَـا كُنتُـمْ تُعَلِّمُـونَ الْكِتَـابَ** " ، أي الكتـاب المنزل من الله تعالى على رسله و أنبيائه عليهـم السلام .

إذن فالمقصـود بـالعلم ، هـو العلـم الشـرعي المنبثق من الوحي ، الكتاب و السنة ، قال صـلى اللـه عليـه و سـلم فيمـا رواه أبـو داود و أحمـد و غيرهما بسند صحيح : " **ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه** " .

فالعلم إما آيةٌ محكمةٌ أو حديثٌ صـحيحٌ أو إجمـاعٌ قائم :

العلمُ قالَ اللهُ قالَ رســـولُهُ *** قالَ الصَّحابةُ لَيسَ بِالتَّمْوِيهِ
مَا العلمُ نصبُكَ للخلافِ سفاهَةً *** بينَ الرَّسُولِ و بينَ رأيِ فقيهِ

العلمُ قالَ اللهُ قالَ رســولُهُ *** قالَ الصَّحابةُ هُم أُولوا العِرفَانِ

يقـول الإمـام ابـن رجـب رحمـه اللـه تعـالى : " **العلم النافع من هذه العلـوم كلهـا ضـبطُ نصوصِ الكتاب و السنة و فهـمُ معانيهـا و التقيُّدُ في ذلكِ بالمأثور** " .
كلام قصيرٌ يغني عن كثير ، لأن العلوم الآن كثيرة عند الناس ، فيحتـار المـرء : مـاذا أتعلـم ؟ بمـاذا أبدأ ؟ نقول عليك بعلم الكتاب و علم السنة ، فلا تأتي لنا بمعنى لم تسـبق إليـه ، " **لا تقـل فـي مسألةٍ ليس لك فيها إمام** " كما قـال الإمـام أحمد رحمه الله .
و حيــن نقــول الكتــاب و الســنة ، فهمــا يشــهد بعضـهما لبعـض ، و الرسـول صـلى اللـه عليـه و سلم كان شارحاً و مفسِّراً للقرآن بقـوله و فعلـه ، فأما بقـوله فـإن السـنة تـبين القـرآن و تفصـل مجمله و توضح معانيه ، و أما بفعلـه فقـد سـئلت عائشةَ رضي الله عنها كما في صحيح مسلم عـن خلـق النبي صلى الله عليه و سلم فقالت للسائل

: **ألست تقرأ القرآن ؟** قال : بلـى ، قالت : " **كان خلقه القرآن** " .
فأفعاله صـلى اللـه عليـه و سـلم كـانت تفسـيراً للقرآن و لهذا وصفه بعضهم بأنه كان قرآناً يــدبُّ على وجه الأرض ، و هذه الكلمـة و إن كـان فيهـا تسـامحٌ و مجـاز إلا أنهـا تعـبير دقيـقٌ و جيّـدٌ عـن أخـلاق الرسول صلى الله عليه و سلم و أفعاله و أقواله .
و هـذا هـو الفقـه حقَّـاً ، القـرآنُ و السـنةُ و فهـمُ معانيهما ، و أما أقوال الرجال فلا تعـدو أن تكـون تفسيراً للقرآن و تفسيراً للحديث ، و لا ينبغي أن يشتغلَ الإنسان بها إلا بقدرِ ما تكون بياناً لهــذا أو ذاك .
و لهذا لمَّا تشاغل النـاسُ بـأقوالِ الرجـال ظهـر مصطلح أهـل الفقـه و أهـل الحـديث و تميَّـزا ، و الواقع أنهما شيءٌ واحد ، ما الفقه إلا علمُ الكتابِ و السنةِ حفظاً و فهمـاً و علمـاً و عملاً ، و لـذلكَ أنكر الأئمـة كـابن الجـوزيّ و الخطـابيّ و غيرهـم التفريق بين أهل الفقه و أهـل الحديث ، بـل همـا شيءٌ واحد .
و لم يعتبر العلماء رحمهم اللـه أن المقلِّـد تقليداً محضاً عالم ، حتى قال ابن عبد البَّرْ : " **أجمعوا على أن المقلِّد لا يعد من العلماء** " ، و قال الإمـام ابـن القيّـم رحمـه اللـه : " **العلـم هـو المعرفة الحاصلة بالدليل** " ، و الدليل آيـة أو

حـديث أو إجمـاع ، فهـذا هـو العلـم ، أمـا كونـك سمعتَ فلاناً يفتي بكذا ، و فلاناً يقول كذا ، فهـذا لا يُعدُّ علماً و إنما هو تقليدٌ قـد يُعـذر بـه الجاهـل الذي لا يستطيع إلا التقليد ، أما طالب العلم فلا .

الصفة الثالثة / الإخلاص و النيَّة :

يقول الرسول صلى الله عليه و سلم فـي حـديث عمر المتفق عليه : " **إنَّما الأعمال بالنيات** " ، و يقول أيضاً في الحديث الآخر المتفق عليه عــن ابن عباس و غيــره : " **لا هجرة بعـد الفتـح و لكن جهادٌ و نية** " ، أي يعبد اللـه تعـالى بالنيـة الصالحة : { **من كَـانَ يُريـدُ الحيـاةَ الـدُّنيا وَ زِينَتَهَا** – بنيته و قصده – **نوفِّ إِلَيهِم أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيسَ لَهُمْ في الآَخِرَةِ إلاَّ النَّارِ** } .
و قال : { **من كَانَ يُرِيـدُ العَاجِلَـةَ عَجَّلنَـا لَـه فِيهَا مَـا نَشَـاءُ لِمَـن نُرِيـدَ ، ثُـمَّ جَعَلنَـا لَـهُ جَهَنَّمَ** } .
و يقول الزهري - و هو من خيار التابعين - : " **ما عُبدَ الله بشيءٍ أفضلَ مـن العلـم** " ، إذن و أنـت تتنـاول العلـم حفظـاً أو دراسـةً أو تأليفـاً أو تعليماً فأنت تعبد الله تعالى بهذا .
و يقول سفيان الثوري : " **لا أعلم بعد النُّبوة أفضــل مـن العلـم** " ، لأن العـالم هـو وريـث

النبي ، و الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً و لا درهماً و لكن ورَّثوا العلم .
جاء أبو هريرة رضي الله عنه إلى أهل السوق و هم يتبايعون و يتشارَون ، فقال : " **أنتم هاهنا و ميراث النبي صلى الله عليه و سلم يُقسَم في المسجد ؟** " فتركوا بضائعهم و ذهبوا يتراكضون إلى المسجد ، فدخلوا و ما وجدوا إلا حلقةً هنا تعلِّم التفسير ، و أخرى تعلِّم الحديث ، فرجعوا و قالوا : يا أبا هريرة غفر الله لك ، ما رأينا شيئاً ! ، قال : **أوَ ذهبتم ؟** قالوا : نعم ، قال : **فماذا رأيتم ؟** قالوا : رأينا قوماً يعلِّمونَ القرآن و قوماً يعلِّمون التفسير و قوماً يعلِّمون الحديث ! قال : **و هل ميراثُ رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا هذا ؟؟** " .
و يقول ابن وهب – و هو من تلاميذ الإمام مالك - : " كنتُ عند مالك و قد نشر كتبه يقرأ و يعلِّم و يبيِّن ، فأذَّن المؤذِّن ، فذهبت أجمع هذه الكتب من أجل أن يذهب بها ، فقال الإمام مالك : **على رسلك ! ترفَّق ! ليس الذي تقوم إليه** – يعني من التنفل قبل الفريضة – **بأفضل مما تقوم عنه <u>إذا صحَّت النية</u>** " .
إذن فالعلم عبادة ، و لا بدَّ لطالبِ العلم و هو يتناول العلم من أن يشعر بأنه يتعبَّد الله تعالى و يتقرَّب إليه بالتعرُّف على حكمهِ في المسائل و التعرُّفِ إليه جلَّ و علا بأسمائه و صفاته و أفعاله

، و التعــرُّف إلــى أنبيــائه بمعرفتهــم و معرفــة حقوقهم و ما أشبه ذلك من ألوان العلم و صنوفه .

و هذا الوصف ، وصف الإخلاص و النية هــو مـن أخـص معــاني الربانية { **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ** } ، أي إرادة وجه الـرب تبـارك و تعـالى فيأخـذ الإنسـان و يـدع ، و بهـا يبـارك اللـه تعـالى فـي العـلم و بها يثمر العلم و ينفع .

و أنت تجد الذين نفع اللـه تعـالى بعلمهـم ليسـوا بالضرورة هم أذكى الناس و لا أكبر الناس عقولاً ، و لا أكثر الناس علماً أيضاً ، و لكن بارك الله تعالى في علمهم و نفع الله به لأنه كـان فيـه الإخلاص ، و هناك علمٌ غزيرٌ و لكن مـا فيـه روحٌ و لا إيمـانٌ و لا إخلاصٌ ، فلــم يبــاركِ اللــه تعـــالى فيــه ، فقــلَّ المنتفعون به .

الصفة الرابعة / خلق العلم و أدبه

و ذلك بالسَّمْتِ و الوقارِ غيـر المتكلَّـف و القـدوة في ذلك هو الرسول صلى الله عليه و سلم حيث كان أعظم العلماء علـى الإطلاق ، و مـع ذلـك إذا وجدْتَ هديه و أدبـه و معـاملته للنـاس تجـد أمـراً يعجز عنه الآخـرون ، و هـذا مـن خصائصـه صـلى الله عليه و سلم التي ميَّزه الله تعالى بها .

ففي مجال العلـم هـو البحـر لا يـدركُ سـاحله ، لكنَّك تجده أيضاً متواضعاً مع أصحابه يمـازحهم و

يضاحكهم و يأخذ معهم ، حتى ربما تكلموا بأمر الجاهلية فيضحكون و يتبسم عليه الصلاة و السلام .
و قد كان له من الهيبة و الوقار في نفوسهم الشيء العظيم ، حتى إنه سها يوماً من الأيام في صلاته كما جاء في الصحيحين و سلم صلاة الظهر أو العصر من ركعتين ، فلم يجرؤوا على أن يقولوا : سهوتَ يا رسول الله ! حتى أبو بكر و عمر أخص أصحابه هابا أن يكلماه ، حتى قام رجل يقال له ذو اليدين ، و قال : يا رسول الله أ قصرت الصلاة أم نسيتَ ؟ قال : **لا ما نسيتُ و لم تقصر** ، قال : بل نسيت ! فقال : **أكما يقول ذو اليدين ؟** قالوا : نعم ، فاستقبل القبلة و صلَّى ركعتين ثم سلَّم ثم سجد للسهو ثم سلم عليه الصلاة و السلام .

الصفة الخامسة / مخالطةُ الناس بالحسنى :

من الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الربانيون مخالطة الناس بالحسنى ، و التخلُّق معهم بالخلق الفاضل ، لقوله تعالى : { **بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمونَ الْكِتَابَ** } أي تعلِّمون الناس ، و كيف تعلِّمونهم و أنتم في أبراجكم العاجية ؟ و كيف تعلِّمونهم و أنتم في مكتباتكم ؟ و كيف تعلِّمونهم

و أنتم تغلقون في وجوههم أبوابكم ؟ و كيف تعلِّمونهم و أنتم معتزلون منعزلون عنهم ؟
هذا لا يكون ، فلا بد من مخالطة الناس ، و قد جاء في حديث عند أصحاب السنن و هو صحيح عن ابن عمر أو غيره أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " **المؤمن الذي يخالط الناس و يصبرُ على آذاهم خيرٌ من الذي لا يخالط النَّاسَ و لا يصبر على آذاهم** " .
إذن لا بد من مخالطة الناس مخالطةً فيها اقتصاد ، فيعطيهم قدراً من وقته ، نحن لا نقول للعالم دعْ أعمالك و علمك و مشاغلك و أمورك ، و تفرَّغ للناس ، لا ، هذا لا يكون و لا يطالبُ به أحد بل هو مما لا يستطاع ، لكن لا بد أن يخصِّص للناس أوقاتاً يعطيهم فيها مما أعطاه الله تعالى و يَفرُغُ فيها لأمورهم و همومهم و شؤونهم .
و من عجيب و بديع ما قاله الإمام ابن القيم رحمه الله أنه قَسَّم الناس في المخالطة إلى أربعة أصناف ، قال : " **فمن النَّاس من مخالطته كالغذاء** ، و هذا هو العالم الربَّاني الذي تخالطه لا لتضيع عليه وقته ، و لكن لتستفيد من علمه ، **الثاني من مخالطته كالدواء ، إنما تتعاطاه عند الحاجة إليه** ، و هذا هو الإنسان الذي تستفيد منه في أمر معاشك ، **و من الناس من مخالطته كالداء** ، و الداء كما تعلم أنواع ، منها مرضٌ عضالٌ لا يشفى منه

الإنسان ، و منها أمراض كوجع الضرس ، بمجرد ما تقلع الضرس يزول المرض و هذا مثل الإنسان الذي مخالطته تؤذيك بسيئ القول ، فإذا غادرته زال الألم ، فالضرس كذلك إذا قلعته زال الألم ، و من الأمراض الحمَّى ، التي لا تكاد تفارق الإنسان ، و من ذلك كما ذكر مخالطة الإنسان الثقيل الذي لا هو بالذي يتكلم فتستفيد و لا بالذي يسكت فيستفيد هو ، فلا يفيد و لا يستفيد ! **و من الناس من مخالطته هي الموتُ بعينه** ، و هو الإنسان الذي يضرُّك في دينك إما بضلالة أو ببدعة " .

فعليك أن تختار لنفسك و تعلم أن فضول المخالطة لا خير فيها ، يكثر القيل و القال و الغيبة و المجاملةِ و التصنع ، و ربما كان طول المخالطة سبباً في المباعدة و المفارقة و اكتشاف العيوب ، فيتحول ذلك إلى نوع من العداوة ، و لهذا جاء في حديث روي مرفوعا عند الترمذي و غيره و روي موقوفا على علي رضي الله عنه و هو أشبه، أنه قال : " **أَحْبِبْ حبيبكَ هوناً ما، عسى أن يكونَ بغيضَكَ يوماً ما، وأبغِضْ بغيضَكَ هوناً ما، عسى أن يكونَ حبيبك يوماً ما** " . أي اقتصد في الحبِّ و البغض و المخالطة و العزلة .

إذن العالم الربَّاني ليست مهمته التعامل مع الكتب فقط ، فتلك وظيفة سهلة ، و لكن مهمته

قيادة الناس إلى ربهم عز و جل و توجيههم و مشاركتهم في آلامهم و مشاكلهم أفراحهم و أتراحهم ، و أن يكون قريباً من نفوسهم و قلوبهم .
و لا يجوز أن تخلو الساحة من العلماء العالِمين العاملين المخلصين ، لأن خلوَّها أتاح الفرصة للأشرار الذين رفعوا يوما من الأيام لواءَ الدفاع عن المرأة أو ما يسمونه " تحرير المرأة " ، فأفسدوا نساء المسلمين باسم الدفاع عن حقوقهنّ ! فلماذا لا يتولى أمر الدفاع عن المرأة العلماء العاملون المخلصون ، فيدافعون عن المرأة ضد كل ظلم أو ضيم يقع عليها دفاعاً بالشرع لا بالهوى ، و يكسبون المرأة إلى صف الإسلام و المسلمين ؟؟
و هم أيضا الأشرار الذين تبنوا قضايا الأطفال و النشء و أعدوا لهم البرامج و الكتب و غير ذلك ، فربوهم على غير هدي الله و هدي رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلماذا لا يتولى أمر الدفاع عن قضايا الطفل ، العلماء العاملون المخلصون أو من يلوذ بهم و يسمع كلمتهم ، حتى يربوا الأطفال على المنهج الصحيح ، منهج الكتاب و السنة ؟؟
و الأشرار الذين ادعوا أنهم ينادون بتصحيح أوضاع العمال و الدفاع عنهم و رفعوا راية " يا عمال العالم اتحدوا " ، فضلّوا و أضلّوا ، و لا شك أن العمال لن يجدوا من يدافع عنهم أصدق

لهجةً و أصح منهجاً من حملة الكتاب و السنة لـو تصدَّوا لهـذا و اهتمـوا بـه ، و دافعـوا عـن حقـوق العمال بالحقِّ لا بالباطل .
الأشرار الذين طالبوا بتحسين الأوضاع المعيشية للنـاس فتبعهـم فـي ذلـك الفقـراء كمثـل سـرابٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، و لماذا لا يكون العلماء الربانيون هـم المـدافعون المتولون لشؤون الناس من الفقراء و العمـال و المظلومين و غيرهم ؟
و لماذا يـذهب الأشـرار بمجتمعـات المسـلمين و يبقى العالِم منعزلاً في بيته أو مكتبته لا يدري مـا الناس عليه مـن خيـرٍ أو شـرٍّ ، و لا يـدري النـاس أيضاً هذه العلوم التي يتعاطاها أي شيء تكون ؟
بـل بلـغ الأمـر أنـه فـي وقـت مـن الأوقـات فـي مجتمعات المسلمين كـانت بعـض وسـائل الإعلام تتناول العالم بالسخرية به فتظهر هـذه السـخرية في التلفاز أو في كاريكاتير ينشـر فـي جريـدة أو في مقرر مدرسي ، فلا يجد العالم من يغضب له ، لأنه ترك مجال المجتمعات للأشرار !
و آلافُ النَّـاس فـي كـلِ بلادِ الإسـلامِ عنـدهم عاطفةٌ دينيةٌ ، و لو أن أحداً تناولَ الرسولَ صـلى الله عليه و سلم مثلاً لوجـدت الغضـب ! لمـاذا ؟ لأنهم يحبون الرسـول صـلى اللـه عليـه و سـلم ، فدلَّ على أن أصلَ هذه العاطفة الدينية موجـود ، و لكنها تحتاج إلى بعثٍ و إثارةٍ و تحريك ، و الـذي

يستطيع ذلك هو العالم الذي يتكلم فيسمع الناس متى أقام الجسـور بينـه و بينهـم ، إذن لا بـد مـن المخالطة على منهاج النبوة .

الصفة السادسة / العزة بهذا العلم

و الترفع عن الأعراض الدنيوية ، و لهذا الله عز و جل قال في الآية نفسها : { **مَـا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ** } ، فالـذي أوتي الكتاب و أوتي الحكم و أوتـي النبـوة ، مـاذا ينظر إلى الدنيا ؟

خذوا كل دنياكمُ و اتركوا *** فــؤاديَ حرَّاً طليقاً حبيباً
فإنيَ أعظمكـــمْ ثروةً *** و إن خِلتُموني وحيداً سليباً

فالعالم الذي أوتي الكتاب و الحكم ، يرى أن أهل الدنيا في واد و هـو فـي واد آخـر ، مثـل مـا كـان يقـول ابـن تيميـة رحمـه اللـه : " **مـاذا يصـنع أعـدائي بـي ، سـجني خلـوة ، و نفيـي سياحة ، و قتلي شهادة** " !!
و العـزُّ بـن عبـد السـلام لمـا قيـل لـه قبـل رأس السـلطان مـن أجـل أن يسـامحك و يعفـو عنـك تبسم و قال : (**مساكين ! أنت في وادٍ و أنا**

فـــي واد !! أنـــا مـــا أرضـــى أن يقبـــلَ السلطانُ رأسي فكيف أقبِّل رأسَه ؟؟) !
و سيد قطب رحمه الله ، لما قيل له اكتب كلمـةَ اعتذارٍ واحدة و نعفـو عنـك مـن الإعـدام قـال : (**إن السبَّابة التي تشهد ألا إلـه إلا اللـه ، لا يمكن أن تكتب كلمـةَ اعتـذارٍ واحـدةٍ تقـرُّ بها حكمَ طاغية !!**)
فالذي أوتي الكتاب و أوتي العلـم و أوتـي الحكمـة يترفَّعُ عن أعراض الدنيا و سفاسفها .
ثم إن الله تعالى يقول : { **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ** } ، أي منسوبـون إلى الرب ، والربانيون هـم مـن أهل الآخرة ، قد يملكـون الـدنيا بمـالٍ أو غيـره ، و لكنها عندهم مثل الفراش الذي يقعـد عليـه ومثـل الحمـار الـذي يركبـه ، يسـتخدمه ولا يخـدمه، أي يستخدمون الدنيا ولا يخدمونها ، فهم ليسوا عبيـداً لها، ولهذا ازدروا الـدنيا ورأوا أنهـا ليسـت أهلاً لأن يريقوا شرفهم من أجلها .
هذا الشافعي يقول :

و من يَذُقِ الدُّنيا فإني طعمتُها *** و سيق إلينا عذبُها و عذابُها
فما هي إلا جيفةٌ مستحيـلةٌ *** عليها كلابٌ همهنَّ اجتذابُها
فإن تجتنبها كنتَ سِلْماً لأهلها *** و إن تجتذبها نازعتكَ كلابُها

" دلني على عملٍ إذا عملته أحبني الله و أحبَّني النـــاس " ، **" ازهد في الدُّنيا يحبُّكَ الله و ازهد فيما عندَ النَّاس يحبُّك النــاس "** ...

فتكسب محبة الله تعالى و محبة خلقه بـأن تجعـل الدنيا تحت قدميك ، و مـع ذلـك سـوف تكـون مـن أحسـن النـاس دنيـاً ، فـأي قيمـة لأمـوالٍ طائلـةٍ موجودة في الرصـيد لأي إنسـان و هـو يقتِّـر علـى نفسه و ولده ؟؟

هذه العزة أيضا و الترفُّع ، تُكسِـبَ الإنسـان هيبـةً عند العامَّة و الخاصة ، لأنهـم يعرفـون علـوَّ همَّـة هذا الإنسان ، و أنه ينظر إليهم فيرثي لحـالهم ، و يعرفـون أيضـا أن هـذا الإنسـان مـن الصـعب أن يُصطاد !

و لهذا وضع بعض الخلفاء للعلماء طُعماً ، يعنـي من الدنيا ، فـأعطى هـذا أرضـاً ، و ذاك مـالاً ، و الآخر ولايةً ، فقبلوا منـه ، إلا واحـداً مـن العلمـاء مـع الأسـف كـان مـن علمـاء البدعـة ، معتزليَّـاً ، اسمه (عمرو بن عبيد) ، رفض و لم يأخـذ شـيئاً و نفض يده ، فقال الخليفة يخاطب العلماء :

كلُّكم يمشي رُوَيد

كلكم يطلبُ صَيد

غير عمرو بن عُبَيد !

فكان الوحيد الذي ثبـت أنـه لا يريـد الـدنيا أبـداً ، فهي تحت قدميه و لا يمكن أن يجامل من أجلها ،

فيكسب بتلك العـزة هيبـةَ الخاصَّـة و العامَّـة مـن أهل الدنيا و الرياسة و المال و الجاه و غيرهم .
و لهذا ، من القصـائد المعروفـة المشـهورة الـتي تساق في هذا المجـال ، قصـيدة الإمـام القاضـي الجرجاني التي يقول فيها ، و هي قصيدة طويلة :

يقولونَ لي فيكَ انقباضٌ و إنَّما **رأوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِ أحجَمَا
أرى الناسَ مَن داناهمُ هانَ عِندَهُم**و من أكرمَتْه عزَّةُ النَّفْسِ أكْرِمَا
و لمْ أقضِ حَقَّ العلمِ إن كَانَ كُلَّمَا ** بَدَا طَمَعٌ صَيَّرتَهُ لِيَ سُلَّمَا
أ أشقَى بهِ غَرْسَاً وأَجْنيهِ ذُلَّةً ؟** إذَنْ فاتِّبَاعُ الَجهْلِ قَد كَانَ أَحْزَمَا !
و إنِّي إذا مَا فَاتَنِــي الأمرُ لم أَبُت *** أقلِّبُ كَفِّـي إِثرَهُ مُتَنَدِّمَا
إذا قيلَ هذا مَنهلٌ قُلتُ قَد أَرَى *** وَ لكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تحتَمِلُ الظَّمَا
و لم أبتَذِل في خِدمَةِ العِلْمِ مُهجَتِي** لأَخدِمَ من لاقَيتُ لَكن لأُخْدَمَا
وَ لَو أَنَّ أَهلَ العِلمِ صَانوهُ صَانَهَم *** وَ لَو عَظَّموهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا

فالعالم الذي يجلس عند رجلٍ ، فإذا قام قام معه ، و إذا قعد قعد معه ، أي قيمة لعلمه ؟
و العالم الـذي يـدخل علـى قـومٍ يسـمعون مـا لا يسـوغ و لا يجـوز ، فلمـا رأوه قـاموا احترامـاً و

تقديراً له و أغلقوا مصدر الصوت ، فبدلاً من أن يفرح بذلك اتجه إليهم يوبخهم و يعاتبهم و يقول لمن أغلق مصدرِ الصوت : لماذا تفعل ؟! إذا كنت لا تريده فغيركَ يريده ، دعه و ما كان عليه !!
هذا أيضاً أي قيمةٍ لعلمِه ؟

الصفة السابعة / الحكمة

و قد قال ابن عبَّاس كما روى البخاري في صحيحه تعليقاً لكتاب العلم في تفسير قوله تعالى : { **وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّـانِيِّينَ** } ، قال : أي حكماء فقهاء .
قال البخاري : و يقال الربَّاني الذي يربِّي بصغار العلم قبل كباره .
فالعالم الرباني حكيمٌ في علمه يضع العلم في موضعه ، و لا يصرف العلم لمن ليسوا له بأهل .
فمن الحكمة ألا يُقدِّمَ العلم لمن لا يناسبه ، فمثلاً عامَّة الناس يحتاجون إلى حكمةٍ في إيصال العلم الذي يجب أن يتعلَّموه ، فيُسَهَّل و يُيَسَّر العلم الشرعيَّ لهم حتى يمكن أن يصل إلى العوامِّ من الرجال و النساء و الكبار و الصغار ، و غير المتخصصين ، و تسهيله من خلال دروسٍ للعامَّة و كتيباتٍ و أشرطةٍ بحيث يكون العلم الشرعي متاحاً لكل إنسان يريد أن يتعلم ، بالتسهيل و التيسير و بعباراتٍ لبقةٍ ، وهذا لا بُدَّ منه .

لكن أيضاً ليس من الحكمـةِ أن تـأتي إلـى هـؤلاءِ العوامِّ فتُـدخلُهُم فـي أمـورٍ ليسـوا بحاجـةٍ إليهـا ، فتحشدهم مثلاً من أجل الرَّدِ علـى خطـأِ العـالمِ الفلاني ، و تبدأُ في الرَّدِ عليه بالآياتِ و الأحـاديثِ و أقوالِ أهـلِ العلـمِ و غيـرِ ذلـك ، حـتى لـو كـانَ أخطأَ فعلاً في اجتهادٍ لم يخالفه فيه الصَّواب .
لأنَّك إن حشدتَ ضمائرَ العوامِّ على هذا العالم ، فـانتظر منهـم كـلَّ شـيء ، انتظـر أنَّ منهـم مـن سوفَ يكونَ معك ، فينـزل على ذلك الذي خطَّأتَه بكـل قـولِ سـيئٍ ، وربمـا وصَـلَ إلـى تفسـيقهِ أو تضليلِه أو تبديعِهِ و ربما تكفيرِهِ ، و ربما شتموهُ و انتقصوهُ و وقعوا في عرضِهِ و أنـت السـببُ فـي ذلك كلِّـه ، و مـاذا يهـم العـوام مـن شـأنِ فلانٍ و علان ؟ إنما يهمهم العلم الموصلُ إلـى الجنـة ، و دعهم و ما هم فيه فهم لا يحتاجون إلى مثل هــذا و لا ينتفعون به .
وإن حشدتهم إليه فتوقَّع منهم كـلَّ شـيء ، ربمـا كان بعضُهُم ضدَّك ولم يقتنع بما قلتَ، فأصبح في المجالس يتحـدثُ عنـك ويخطِّـؤك وينتصـرُ لـذلك العالم ، فأحدث ذلك شرخاً عظيماً يصـعب سـدُّه وردمُه، وأصبح العوام أحياناً حُكَّاماً بين العلمــاء , فلان أخطـأ وفلان أصـاب ، لمـاذا ؟ لأنـك جررتَـه إلى هذا الميدان الذي هو ليس ميدانه ، وقد كـان من الحكمةِ أن تضعَ العلمَ في موضعه .

و من الحكمة أيضاً ألا تصدم الناس بما هو أكبر من عقولهم ، فيكون هذا سبباً في ردهم و تكذيبهم ، و في الأثر : " خاطبوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله و رسوله ؟! " قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
يقول الغزالي في إحياء علوم الدين : " كِل لكلِّ عبدٍ بمعيارِ عَقْلِه ، و زِن له بميزان فِهْمِه ، حتى تَسلَم منه – أي من قوله و إنكاره – و ينتفعُ بك ، و إلا وقع الإنكارُ لتفاوتِ المعيار " .
و كم من إنسان خُطِّئ و بُدِّع و ربما ضُلِّل و هو على حق ، لأن العالمَ تكلَّم بهذا الكلام في وسط قومٍ لا تَسَعُ عقولُهُم ما قال ، أو أن هذا الكلام بلغَ إليهم من غير طريقه فخطَّأوه و هم المخطئون ، و ضلَّلوه و هم الضالُّون .
و من الحكمةِ أن يبدأ بالأهمِّ قبلَ المُهِم ، فيشتغل بالعلوم الضرورية قبل العلوم التحسينية ، فالعلم الذي يُضطَرُّ إليه اليومَ و يُخشى أن يفوتَ وقت الصلاة مثلاً قبل أن يتعلَّمَه ، فليُقَدِّمَه على علمٍ يحتاجه فيما بعد ، و العلم الذي يحتاجه ، ليُقَدِّمَه على بعض الأشياء التي هي من باب الكمال و لكنه قد لا يحتاج إليها .
و كذلك لا بد أن يكون حكيماً في عمله ، فمثلاً ليس مناسباً أن يعمل أمام الناس عملاً هو يعرف أنه مباح ، لكن الناس يستنكرونه و يستكثرون منه ، فعليه أن يُسِرّ ، ما دام يعرف

أنه ليس فيه شيء من الشر ، لئلا يراه الناس فيستغربونه و يستنكرونه .
و لهذا من عجيب ما يقال أن عالماً سجنه أحد الطغاة في السجن و قال له لا بد أن تأكل لحم خنزير ، فتجلس على مائدتي و تأكله معي ، فأبى العالم ، فأتاه بعض الطباخين المخلصين من خدم الملك و قالوا له : سوف نضع لك لحم ضأن ، لكن كل من أجل أن تفتدي نفسك و تخرج من السجن ! فقال : **لا آكل !** قالوا : لماذا ؟ قال : **و من يدري هؤلاء العوام بأن ما آكله لحم ضأن ؟**
سيظنون أن ما أكلته لحم خنزير ، فيستحلوه بذلك أو على أقل تقدير يرون أني أكلت حراماً ، و أنا عالم يُقتدى بي في فعلي كما يُقتدى بي في قولي ، فلا أفعل ! و أصر على موقفه ، و هذا من الحكمة .
و من الحكمة أيضاً أن يكون حكيماً في تعليمه ، فيعطي كل أحد ما يستحق ، و يخصَّ بعضَ الناس بالعلم الذي يناسبهم ، و يبدأ بصغارِ العلم قبل كباره ، و بالأهم قبل المهم ، و يتدرج إلى غير ذلك مما سوف يأتي .

أي التواضع و معرفة قدر النفس ، فلا ينتصر لنفسه و لا يؤذي غيرَه بقولٍ أو فعلٍ ، و لا يردَّ

الحق إذا عرفه ، و لا يشتغلَ بالناس ، يقـول ابـن دقيق العيد لرجلٍ و قد رآه يطلب العلم فأعجبه : " **أنت رجـلٌ فاضـلٌ و السـعيد مـن تمـوت سيآتُه بموته فلا تهجوَنَّ أحداً** " ، قال : فمـا تكلمتُ في أحدٍ قط .

فليس من صفة العالم الرباني الخصومة و اللجاج في كل شيءٍ و لغير سبب ، و لهذا نفى اللـه عـز و جل في هذه الآية عن الأنبيـاء و الربـانيين أنهـم يدعون الناس إلى أنفسهم ، فتضمن ذلك أنَّهـم لا يغضـبون لحظـوظهم الدنيويـة و لا يسـعون إلـى رفعـة أنفسـهم علـى حسـاب الآخريـن مثلاً ، و لا يغضـبون لأن فلان مـا التفـت إليهـم أو مـا اتجـه إليهم أو ما أشبه ذلك .

إنما غضبهم للحـق ، و حـتى غضـبهم للحـق هـو غضب يتبعه حرص على التصحيح ، فهذا الإنسـان الذي رأيت أنه أخطأ ، عـامله بالحسـنى رجـاء أن يعـود إلـى الحـق ، فمـن غضـبك للحـق ألا تظهـر غضبَك ، بـل أظهـر لـه اللينَ تأليفاً لقلبـه ، فـإن رأيـتَ أن عنـده إمكانيـةَ القبـولِ و الأخـذِ و الـرَّدِ معك فلا تغضب عليه ، و إن رأيت أنه مبتـدعُ مثلاً و أنه مصرٌّ و مجاهرٌ و معاندٌ للحق ، فحينئـذٍ لكـل مقامٍ مقال .

يقولُ الجاحظ : " **و أنا أحـذِّرُك مـن اللِّجـاج ، فـإنه لا يكـونُ إلا مـن خلـلِ القـوةِ و مـن**

نقصانٍ قد دخل على التَّمكين ، و اللَّجـوجُ في معـنى المقلوب " .
نعـم ! هـذا كلامٌ علمـيٌّ رصـين ! اللَّجـوج الـذي تجده يرفع الصوت و يصرخ و يبهرج الكلام ، هـذا مغلوب ! أما الإنسان الواثـق الغـالب تجـده قويَّـاً بالحُجَّة و لو كان صوتُه هادئاً و نـبرتُه هادئـة ، فلا يلتفت إلى هذه الأعاصـير و العواصـف الـتي تُثـار هنا و هناك .
فهو لا يختار الرَّدَّ مثلاً من أجلِ أن يريحَ نفسَـه أو يشبعَ غرورَه أو يُظهرَ الغلبةَ علـى خصـمِه ، فهـذا ليس من شيمةِ العالم الربانيِ .
يقول الإمام ابن قتيبة ناصحاً طـالبَ العلـم فـي كتاب (عيون الأخبار) : " **أحب أن تجري على عـادةِ السـلف الصـالحينَ فـي إرسـالِ النفـس علـى السَّـجِيَّةِ و الرَّغبَـةِ بهـا عـن لُبسَةِ الرِّيـاءِ و التَّصَـنُّعِ ، و لا تستشـعرْ أن القـومَ قـارفوا و تنـزَّهتَ ، و سـلبوا و تورَّعْتَ** " .
يعني لا تحسُّ أنَّك أنت كامـلٌ و هـم ناقصـون ، و أنت ورعٌ و هم مخلِّطون ، و أنت متنـزِّهٌ و هم قد اقترفوا بعضَ المعاصـي ، لا تحـسُّ بهـذا ، إيـاكَ و الاستعلاء ، إياكَ و الكبر ، و هـو" **بطـر الحـق و غَمَطُ الناس** " كما عرَّفه النبي صلى الله عليـه و سلم .

تَواضَعْ تَكُن كالنَّجمِ لاحَ لناظِرٍ *** عَلَى طَبَقَاتِ المَاءِ و هو رَفِيعُ
و لا تَكُ كالدُّخَانِ يعلُو مكانَه *** على طَبَقَاتِ الجَوِّ و هو وَضِيعُ

و من التواضعِ أن يقبلَ الإنسانُ الحقَّ و يتزوَّدَ من العلم ، و لهذا قال الله تعالى : { **وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** } ، أي عالم و يدرس ، و قد سبق أن ذكرت أن في الآية قراءتان ، الأولى { **بما كنتم تعلَمون الكتابَ** } و هذه هي قراءة الجمهور ، و القراءة الثانية { **بما كنتم تعلِّمون الكتابَ** } أي تعلّمون غيركم ، و هذه بقراءة حمزة و عاصم و ابن عامرٍ و الكسائيُّ و خَلَف ، و هي قراءة سَبعِيَّة كما هو معروف ، و هي المُثبَتَة في المصحف برواية حفصٍ عن عاصم .
إذن { تعلّمون } ، و أيضا { تَدْرُسُونَ } ، فأنت تجده شيخاً في حلقةٍ ، و تلميذاً في حلقةٍ أخرى ، و قد كان الإمامُ أحمدُ يركضُ و نعلاه في يديه في أَحَدِ شوارعِ بغداد ، فقال له أحدهم : " يا أبا عبد الله ! إلى متى تركض ؟ " قال : " **إلى الموت** " !
و في قصة أخرى قيل له فقال : " **مع المحبرة إلى المقبرة !** " .
فهم يتعلّمونَ ويُعلِّمُونَ حتى الموت ، ولا يرون أنهم قد وصلوا ، لأن الله تعالى يقول : { **وَاعبُدْ**

رَبَّكَ حَتَّى يَأتِيَكَ اليَقَيْنُ } ، وقد سبق أن بيَّنَّا أن العلمَ عبادةٌ ، بل هو من أعظمِ العبادات ، إذن من معاني الآية : واطلب العلمَ طاعةً لله حتىَّ يأتيك اليقين، لَكِن العلمَ النافعَ الموصلَ إلى الدار الآخرة .

الصفة التاسعة / العمـــــل

بعد الكلامِ عن أخلاقيات العالمِ الرباني ، نأتي إلى العمل ، و العمل هو الثمرة ، حتى إن السلف رحمهم الله ما كانوا يُسمون الفقهَ إلا (العلمَ و العَمَلَ) ، كما قَرَّرَ ذلك و حَرَّرَهُ الإمامُ الغزاليُّ في (إحياءِ علومِ الدين) ، و الإمامُ ابن القيِّمِ و غيرُه من أهل العلم ، و ساق فيه الدارمي و غيره رواياتٍ كثيرةٍ عن السلف .
فلم يكن السلف يعرفون الفقهَ الذي هو القراءةُ في الكتب ، بل يعرفون الفقهَ إنسانٌ يعلمُ فيعملُ و يطبِّقُ و يُنَفِّذُ ، و لا فاصلَ عندَهُم بين هذا و ذاك ، و لهذا لما سُئِلَ أيُّوبُ السُّختياني رحمه الله - وهو من التابعين - : أيهما أكثرُ العلمُ اليومَ أم في الماضي ؟ فقال : " الكلامُ اليومَ أكثر ، لكنَّ العلمَ فيما تقدَّم أكثر " .
و هذا الكلام يصلُحُ أن يُطَبَّقَ على واقعِنَا ، فالكلامُ اليومَ أكثر ، و لكنَّ العلمَ الذي وَصَل إلى القلبِ و أثمَرَ العَمَلَ و الصِّدقَ هذا قليل .

و قيل للإمامِ أحمد في مجلسٍ ذكرٍ فيه معروفُ الكرخي - و هو من الزُّهَّادِ العُبَّادِ الأتقياء ، و له في ذلك أخبارٌ معروفة ، ذكرها الذهبيُّ و ابن الجوزيِّ و غيرهما تراجع في مَظَنَّتِها - ذُكِرَ في مجلسِ الإمام أحمد فقال أحدُ الحضور : " معروفٌ قصيرُ العلم " ، فقال له الإمام أحمد : " أَمْسِكْ عافاكَ الله ، و هل يُرادُ من العلم إلاَّ ما وَصَل إليه معروف ؟! " أي لا نريد من العلم إلا النتيجة التي وصل إليها معروف و هي العمل .

و في حادثةٍ أخرى سأل عبدُ الله بن أحمد بن حنبل والدَه و قال له : " يا أَبَتِ هل كان معروف معه شيءٌ من العلم ؟ " قال له : " **يا بني ! معه رأسُ العلمِ خشيةُ الله تعالى** " .

و في حديث أبي موسى الأشعري ، و هو في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " **مثل ما بعثني الله تعالى به من العلم كمثل الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضاً ، فكان منها طائفةٌ طيِّبةٌ قبلتْ الماء ، فأنبتتِ الكلأَ و العشبَ الكثير** "، فهذا العالِم العامِل المعلِّم , كالأرض الطيِّبة التي نزل عليها المطرُ فاهتزَّت ورَبَت وأَنْبَتَت من كلِّ زوجٍ بهيج ، فأثمرَ العلمُ عندَهُ العَمَلَ و العبَادَةَ والدَّعْوَةَ والصَّبْرَ ، " **و كان منها أَجَادِبَ - أرضٍ صَلْبَةٍ - أمسكتِ الماءَ فَنَفَعَ اللهُ بها الناسَ فشربوا منها وسقوا وزرعوا** " ، فهذا مثلُ إنسانٍ عندَه

معرفةٌ بالنصوصِ لكن لا يعملُ بها ، مثلَ الأرض التي لا تستفيدُ من الماءِ لكنَّ النَّاسَ استفادوا فاغترفوا منها ، " **و كان منها أصابَ طائفةً أخرى إنما هي قِيعَانٌ لا تمُسِكُ ماءاً و لا تُنبِتُ كَلأً** " فهذا ما عنده معرفةٌ و ما عنده عملٌ ، و لا عبادة ، " **فذلك مثل من فَقِهَ في دينِ اللهِ فَعَلَّمَ و عَلَّمَ ، و مثلَ من لم يرفع بذلك رأساً ، و لم يقبل هدى الله تعالى الذي أُرْسِلْتُ به** " .

يقول بعضهم في وصف بعض الطلاب :

زَوَامِلَ للأسفارِ لا عِلْمَ عندَهُم ** بجيّدِهَا إلا كعِلْمِ الأباعِرِ

لَعَمْرُكَ ما يدري البعيرُ إذا غَدَا ** بأسفارِهِ أو رَاحَ ما في الغَرَائِرِ !

و قد وصفَ اللهُ تعالى أهلَ الكتابِ بقوله : { **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لم يَحمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحمِلُ أسْفَاراً** } .

إذن اسمع يا أخي كلمةً ينفعكَ الله تعالى بها ، هما علمان لا يضرك ما فاتك غيرهما :

العلمِ الأول / علمٌ ينفعكَ في الدارِ الآخرةِ و يُوصلِكَ إلى الجنة و يبعدك من النار ، فهذا تشبَّثْ و تَمَسَّكْ بِهِ .

و العلمُ الثَّاني / علمٌ ينفعك في الدنيا ، إما زراعةٌ أو صناعةٌ أو طبٌّ أو هندسةٌ أو غيرُ ذلك

مما تنتفعُ به أو تنفعُ به غيرَكَ في الـدنيا ، فعليـكَ أيضاً بهذا العلم بقدرِ ما تحتـاجُ أنـت ، و بقـدرِ مـا يحتاجُ الناسَ ، و إن أخلصتَ النيَّةَ فأنتَ على خيـرٍ عظيم .
أما ما سوى هذا و ذاك ، فلا تشـتغلْ بـه ، فلان و علان ، هذا طلع و هذا نزل ، و هـذا أصـابَ و هـذا أخطأ ، ماذا ينفعك من هـذا ؟ قـد تـدخلَ الجنَّـةَ و أنت لا تدري بكثيرٍ من هـذه الأمـور، بـل قـد تبلـغَ الدَّرَجَاتِ العُلَـى منهـا و أنـت لا تـدري بكـثيرٍ مـن هذِهِ المشاكلِ و القيلِ و القـالِ و الأخـذِ و الـرَّدِ و الغـادي و الرائـح ، فأمْسِـكْ و اتـرُكْ كـثيراً مـن الفضولِ التي يتشاغل بها النـاس مـن مجريـاتٍ و أحداثٍ و قضايا لا ينتفعون بها في دينٍ و لا دُنيا .
و لو أنها تنفعهم في دنياهم ، لقُلنا نعـم ، لكنهـا لا تنفعُ ! إنما هي إزجاءٌ للفـراغِ و نـوعٌ ممـا يسـمى أحياناً بالترفِ الفكرِيِّ !
كثيرٌ من الشباب يـأتونني و يسـألونني ، فأتأمـلُ هذا السؤال الذي سألني عنـه هـذا الشـاب ، هـل ينفعه ؟ لا ، لا ينفعه لا في الدنيا و لا في الآخرة ! إذن لماذا سألني عنه ؟
اشتغل يا أخي بعلـمٍ ينفعـكَ فـي دينـكَ ، عبـادةٌ ، دعوةٌ ، أو علـى الأقـلِّ علـمٌ ينفعـكَ فـي دنيـاك ، تجارةٌ ، زراعـةٌ ، أمـا هـذه الأقاويـلُ و الأغـاليطُ و المسائلُ و الأمورُ - و لا داعٍ للتمثيل - ؛ انظر إلى أيِّ سـؤالٍ تريـد أن تطرحـه ، هـل هـو ينفـع فـي

الآخرة ؟ لا ؟ فاتركه ، و هل هو ينفع في الـدنيا ؟ لا ؟ إذن أيضاً فاترُكه .
أما إذا كان ينفعكَ في دنيـاكَ أو فـي أخـراكَ ، فلا أحدٌ يلومُكَ على ذلك ، و لهذا تجد العالم الربـانيُّ يعتني بالعلم الذي لـه ثمـرة ، فيسـأل عـن ثمـرةِ هذا العلم قبـل أن يتشـاغلَ بـه ، فلا يطـرح مثـل تلك الفرضيات التي ربما تقـع و ربمـا لا تقـع إلـى قيام الساعة .. و لا يتشاغل بالجـدل فـي مسـائل محصورة و قد تكـون مـذكورة فـي بعـض الكتـب لكن لا يحتاج إليها الآن بحالٍ من الأحوال ، مع إننا نجـد أن هنـاك مسـائل موجـودة الآن ، لكـن لـم يَسأل عنها و لم يتشاغل بها و لم يبَحث فيها .
كذلك تجد أن هذا العالم الرباني لأنه همَّـه العمـل بالعلم يعتني بصُلبِ العلمِ قبل فروعِـهِ و مُلَحِـهِ وطَرَائِفِه البعيدةِ الَتي قد تخفى علـى بعـضِ كبـارِ أهلِ العلم .
و مثل ذلك تتبُّعِ كلِّ جديدٍ من الكتـب ، هـذا ليـس لازماً لأن فيه من إضاعة الوقت الشـيءَ الكـثير ، و بالمقابل قد لا يكـون فيـه أكـثرُ مـن الطرفـة و الملحة و الجمع ، و قد يُفتن الإنسان بجمعِ الكتبِ كمـا يُفتـنُ الآخـرُ بجمـعِ المـالِ و لا يسـتفيد منهـا علمـاً و لا عملاً ، و إنَ كـان الجمـعُ المعتـدلُ مطلوباً و التخصُّصُ أيضاً في ذلك مطلـوب .
و مثل ذلك الأُغلُوطات التي نهـى الرسـول صـلى الله عليه و سلم عنها ، و هي صـعابُ المسـائل ،

فالتشاغلُ بها مهلكة ، و بعض شباب الدعوة فـي بلادٍ إسـلامية كـثيرة حيـن أصـغي إلـى أسـئلتهم أحيانـاً لسـاعات فـأتعجب ، و تأتينـا أسـئلة فـي البريد أيضاً أو يسـلمونني أوراق فيهـا أحيانـاً مـن 60 – 70 سؤالاً ، تتعجب من بعض هذه الأسئلة و ما فيها من التكلُّفِ و التدقيقِ و التنقيحِ ، و تجـد أن معظم هذه المسائل من الأغلوطات التي نهى الله تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم عنها !

يعني ما وقع السلفُ الصالح على هذه العلـوم و الأسئلة و لا أجابوا عنها و مـا فهموهـا و لـم تتهيأ لهم ، حـتى انـبرى لهـا هـؤلاء فكشـفوها و سـألوا عنها ؟ إن هذا لشيء عجاب !

و قد تجد هذا الإنسان جاهلاً ببعض الأصول الكبار ، و غير متعمِّقٍ في علومٍ كان يجب أن يتعمَّقَ بها و أن يفهمها ، و لهـذا يقـول الإمـام ابـن الجـوزيِّ رحمه الله في (تلـبيس إبليـس) : " **لو اتَّسَـعَ العمرُ لم أمنع من الإيغال في العلم ، غير أن العمر قصيرٌ و العلم كثيرٌ ، فالتشـاغل بغيرِ ما صَـحَّ يمنـع مـن التشـاغل بمـا هـو أهم منه ، و لمـا تشـاغل يحـي بـن معيـن فـاته مـن الفقـه الشـيء الكـثير ، و مـن أقبح الأشياء أن تجري حادثةً يُسـألُ عنهـا الشـيخ ، أمضـى سـتين سـنة فـي طلـب الحديث فلا يعرِف عنها شيئاً** " .

و أقول : قد يكون ما تشاغَلَ بـه يحـي بـن معيـن مما ينفعُ الناس ، و لكنَّ غيره كثيرٌ تشـاغل بمـا لا ينفع من الغرائب و العجـائب و الطرائـف الـتي لا يحتاج إليها و التي تموت بموته ، و لهذا قيـل فـي عيـوب بعضـهم مثلاً أنهـم : " أبحـث النـاس عـن صغيرٍ و أتركهم عن كبير !! " .
و أعرف شخصاً ينقِّـبُ فـي المسـائل و يـوالي و يعادي و لكنه عاقٌّ لوالديه و العياذ بالله ! أي خيـرٍ في هذا ؟؟
و قيل أيضاً في عيوب بعضــهم : " أعلـم النـاس بما لم يَكُن و أجهلهم بما كان ! "
فليس المقصودُ بالعلم يـا أخـي بـارَكَ اللـه فيـكَ المفــاخرةُ و المباهــاةُ بــالكلام و التصــنيفِ و الشهرةِ و القيـلِ و القـال ، بـل المقصـود العمـل ديناً و دنياً .
و يؤسفني أن أقول إن أمَـمَ الكفـرِ مـن اليهـودِ و النصارى في بلاد الغـرب اليـومَ تشـاغلوا بـالعلوم الدنيوية فسخَّر اللهُ لهم من هـذا الكـونِ المـادة ، فاستفادوا منها و انتفعوا أيما انتفاع فغاصـوا فـي أعمـاق البحـار ، و صـعدوا إلـى أجـواء الفضـاء و تقــدموا فــي ألــوان العلــوم و اســتطاعوا أن يستفيدوا من ذلك في التسهيلات الحضارية الـتي انتفعــوا بهــا هــم كــثيراً و انتفــع بهــا غيرهــم و استطاعوا أن يحفظوا مكانتهم و يحققوا لأديـانهم و عقائدهم و أفكارهم انتصاراتٍ عسكرية بسـبب

مـا ابتكـروه و اخـترعوه ، و ذلـك لأنهـم تركـوا التشاغل بغيره .
و قـد أصـابوا مـن جـانب و أخطـأوا مـن جـانب ، أصابوا من جانب الاشتغال بهـذه العلـوم الدنيويـة المفيدة و كان يجب علـى المسـلمين - ولا زال - أن يشتغلوا بها و يحققوا أكثر مما حقَّقَ هؤلاء ، و لكنهم أخطأوا من جانبٍ آخر و هو أنهـم تشـاغلوا عن العلوم الأخروية الموصـلة إلـى رضـوان اللـه تعالى ، فصـدق عليهـم قـول اللـه عـز و جـل : { **يَعلَمُونَ ظَاهِرَاً من الحياةِ الدُّنيَا وهُمْ عَـنِ الآخِرَةِ هم غَافِلُونَ }** ، فهم لا نصيب لهم في الدار الآخرة ، إنما نصيبهم فـي هـذه الـدنيا ، أمـا الأمـم المسـلمة فأخشـى أن تكـون فـي بعـض مظاهرها خسرت هذا و ذاك ، فهي لم تفلـح فـي إعـزازِ دينِهـا و لـم تفلـح فـي تطـويرِ دنياهـا مـع الأسف الشديد .
إذن العلمُ قرينُهُ العمل و هو ثمرتـه ، و العلـمُ و العمـلُ اسـمهما الفقـه ، و فـي الصـحيحين مـن حـديث معاويـة : " **مـن يُـرِدِ اللـهُ بـهِ خيـراً يفقهه في الدِّين** " و أنت في صـلاتك تقـول : { **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** } ، و ما الصراط المستقيم إلا العلم و العمل بالهدى ودين الحق .
و لهذا قال الله عز و جل : { **وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا** } ، نزلت هذه الآية في أهلِ نجرانَ لما قالوا : " يا محمـد !

هل تريدُنا أن نعبدَك ؟ "و النصارى عبدوا عيسى عليه السلام ، و قيل نزلت فيمن قال : " يا رسول الله ! ألا نسجدُ لك ؟ " كما يسجدُ الكفار أو النصارى لزعمائهم ، فنهى الرسول صلى الله عليه و سلم و قال : " **لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها** " .
فاليهود و النصارى ضلُّوا : بتركِ العلمِ كما فَعَلَ النَّصارى ، أو بتركِ العَمَل كما فعل اليهود ، فأنت تقول { **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** } يعني صراط العلم والعمل ، { **صراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ * غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيْهِمْ** } و هم اليهود الذين تركوا العمل ، { **وَلاَ الضَّالِّينَ** } أي النصارى الذين تركوا العلم .

الصفة العاشرة / التعليـــــم

والتعليم مهمة الأنبياء، يعلمون الناس في الكتاب ، والله وملائكته يصلون على معلم الناس الخير ، و ينبغي أن تعلم أن العلم كالمال ، لا يكنز ، ولا بد أن تؤدي زكاته ، ويختلف العلم عن المال في أن العلم ليس له نصاب حتى لو لم يكن عندك من العلم إلا آية واحدة أو حديث ، وجب أن تبلغها ، يقول النبي صلى الله عليه و سلم : " **بلغوا عني وَ لَو آيةً** " ، و في الحديث الآخر و كلاهما في الصحيح : " **نضر اللهُ امرءاً سمعَ منَّا حديثاً فبلَّغَه** " ، حديثاً واحداً !!

و سبل التعلم للربانيين لا بـد أن يراعـوا فيهـا مـا يلي :
أولاً / أن يكونوا ربانيين حقاً ، أي يربـون النـاس بالعلم ، و يراعون في ذلك التدرج فـي العلـم فلا ينقلون الإنسان طفراتٍ تجعله غيـر مُنضَـبِطٍ فـي علمه و في تعليمه .
ثانياً / أن يراعوا التربية ، فليس العلم هو مجـرد حقن الذهن بالمعلومات ! فقد تجد إنساناً كالبحر في معلومـاته ، لكـن شخصـيته لـم تُصَـغ صـياغةً سليمةً فيها الانضباط و التوازن و الأدب و التعقل و الجهاد ، فيكون علمه حجةً عليه ، لأنه اغتَرَّ بهذا العلم و اغترَّ الناسُ به أيضـاً ، لأنـه إذا تكلَّـمَ فـي المسائل أجاد و أفاد ، لكن ينسون أن هذا العـالم لم يصحبه نورٌ و بصيرةٌ و تربيةٌ و مراعاةٌ للأحوال .
ثالثـاً / بـذل العلـم للعامـة بسـهولة العبـارة و وضـوحها ، لأن المقصـود ليـس التقعـر بـالقول و إظهار القدرة علـى النـاس ، بـل المقصـود تبليـغ السـامع ، و لهـذا قـال ربنـا عـز وجـل : { **وَ مَـا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيِّـنَ لَهُم** } ، أي المقصود أن يصل العلم إليه و ليـس شيئا آخرا وراء ذلك .
يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : " و بهـذا كـان السلف الصالح يعملون في تبليغ الشريعة للمآلف و المخـالف ، و مـن نظـر فـي اسـتدلالهم علـى

إثبات الأحكام التكليفية علـم أنهـم قصـدوا أيسـرَ الطــرق و أقربهَــا إلــى عقُــول المخــاطَبين و الطالبين من غير ترتيبٍ متكلَّفٍ و لا نظمٍ مؤلَّــف ، بل كانوا يرمون بالكلاَمِ على عواهنهِ و لا يبالون كيف وقعَ الكلامُ في ترتيبه إذا كان سـهلَ المأخـذِ قريبَ الملتمَّس " .
فــتراعي إذن التبســيط و التســهيل و التيســير ، و ليــس مــن الضــروري أن ترتــب و تــأتي بنقــاط و مسائل و قيل و قال ، المهـم أن يصـل الحـق إلـى الناس و لو بأقصـر طريـق ، و لا يمنـع أن الإنسـان يخص أقواماً بمزيدٍ من العناية و الترتيب و التبويب ، لأنهم طلبة علم مثلاً أو مختصين أو ما أشبه ذلـك ، و لهـذا اختُـصَّ الخطيـبُ بضـرورة تسـهيل العلـم للناس .
و مثله من يخاطب الجمـاهير ، قـال ابـن قتيبـة رحمـه اللـه : " ينبغـي أن يكـون الخطيـب رابـطَ الجأشِ ساكنَ الجوارح قليلَ اللَّحظ متخير اللَّفـظ ، و لا يدقِّق فـي المعـاني كـلَّ التـدقيق و لا ينقِّـح الألفاظَ كل التنقيح ، و يكون في الكلام إجمـالٌ و عمومٌ يتناسب مع عقولِ المستمعين " .
هذا و قد أطلت عليكـم ، فأعتـذر إليكـم و أسـأل اللـه تعـالى أن يجعـل هـذا المجلـس فـي ميـزان أعمالنا و حسناتنا .
و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

تمت المادة بحمد الله